خطبة: أركان الحكم الصالح وقواعده

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

حديثنا اليوم وبلادنا نتلمس طريقها للمرحلة القادمة في حكم البلاد وادارة شؤونها ، والتي نسأل الله تعالى ان تكون مرحلة خير وبركة ، وأمن وأمان ، ووحدة وتعاون ، نعرض إنموذجا لحكم صالح وإدارة رشيدة ، أحدثت تغييرا عميقا في أثره ونتائجه ، فريدا في أسلوبه ومدته ، لم يدم الا عامين ونيف لكن نتائجه وبركاته ظهرت للأيام الاولى له ،أنها الخلافة الراشدة الخامسة ايام حكم عمر بن عبدالعزيز امير المؤمنين رحمه الله ورضي عنه ،،

قال عمر بن أسيد "إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا، لا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء..

فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيه فلا يجده.. قد أغنى عمر الناس"

نعرض بإيجاز اركان ذلك الحكم الصالح وقواعد تلك الادارة الراشدة التي كانت حجة الزمان على من ييأسون من الاصلاح والتغغير للأصلح ، بعد ماترسخت صور للظلم وأنماط من التعدي على أموال المسلمين وتبديد للثروات والطاقات في العهود التي سبقته،،

كان أولُّ اركان حكمه التورع عن اموال المسلمين ، وبدأ بنفسه ، فعندما قدموا له موكب الخلافة أمر بضمه لبيت المال ، ثم أرجع أموالا وهبها له سابقوه من خلفاء بني أمية ، ثم ثنّى بزوجته فاطمة بنت عبدالملك في جواهر وُهبت لها وقال لها :

" إما أنا او تلك الأموال يافاطمة " ، فما ترددت في ارجاعها لبيت المال ، ثم نظر في أموال بني أمية فما أُخذ من غير وجه حق ضمّه ليت مال المسلمين ، حتى ثاروا عليه وتمرّد بعضهم ، فأخذهم بالحزم والتهديد فاستكانوا له على غير رضا .

اما ثاني اركان حكمه ، فهو الشورى التي جعلها الله تعالى قاعدةً للحكم الاسلامي ، قال تعالى " وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " (38 الشورى )

فاختار مجلسا للشورى من عشرة فقهاء كانوا أهل حلٍّ وعقد وأهل نصحٍ وأمانة ، كانوا محل مشورته ونصحه ووعظه ، وأعانوه على إصلاحاته المباركة ، فعّم الخيرُ ، وساد الأمن ، وحلت البركة حتى لمس رعاة الأغنام أمرا عجبا ، رأوا الذئاب لاتعدو على أغناهم !!

وثالث اركان حكمه : العدل ونبذ الظلم ، فبدأ من أول يوم بإزاحة الولاة الظلمة وتولية أهل القوة والأمانة مّمن أعانوه على مهمته الاصلاحية في ادارة شؤون الدولة والقضاء ، ولم يتركهم سدى بل كان يتعاهدهم بالنصح والمتابعة ، فعن الفضل بن ربيع قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكر طول سهر أهل النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر فقال له ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك. لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى ،

هكذا كان حكمه وتلك كانت أثاره .

وفقنا الله لرضاه وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

من قواعد حكمه ،رحمه الله، ان فتح أبوابه لمن وقعت عليهم مظلمة او كانت له حاجة ، كيف لا ؟ وهو يعلم قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ ذلك أم ضيع ؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته " ( رواه ابن حبان ، وصححه الألباني )

جاءه رجل يشتكيه هو في ارض له في حلوان بمصر ، فسأله عن موقعها وصفتها فعرضها الرحل وعرض شكايته ، فقال عمر : أعرفها ولي فيها شركاء ، قم لنعرضها على القاضي ، فتعجب الرجل من هذا الخليفة الذي يقبل الشكاية عليه ، واستمع القاضي للشاكي واستعلم عن حقيقة الامر وتوثق منه واستمع لعمر ، ثم أصدر حكمه بإرجاع الأرض للرحل ، فقال عمر متظاهرا بالاعتراض : " ولكننا أنفقنا عليها من أموالنا " ، فرد القاضي بحزم : ماأنفقتوه قد أخذتوه من غلتها ،، فتبّسم عمر وقال له : " والله لو حكمت بغير هذا ماوليتك قط " .

بهذا العدل والانقياد لشرع الله وتولية الأمناء الأقوياء والشورى عاش المسلمون وغير المسلمين فترة من الزمان كانت شمعة مضيئة ونبراسا من نور لمن أراد الاقتداء والتأسي